جهود الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) في بيان مفهوم الامامة وفلسفتها وموقفه من سياسة المال والخوف في الدولة العباسية

الأستاذ الدكتور

محمد حسين علي السويطي

كلية التربية للعلوم الانسانية-

جامعة واسط

mohali@uowasit.edu.iq

الباحث الشيخ

عادل خلف شهواز حيدر

كلية التربية للعلوم الانسانية-

جامعة واسط

ha.70.hs70@gmail.com

الملخص

تبنى حكام بنو العباس من اجل كسب الرأي العام لصالحهم سياسة اعتمدت على المال والخوف، اذ كانوا يقدمون الاغراءات لكبار العلماء والفقهاء بهدف كسبهم، وان اعترضوا اعتمدوا معهم التخويف، وهو ما جعل الكثير منهم يقفون الى جانب دولة بني العباس ويفتون لصالح حكامها، الا ان للإمام علي بن موسى الرضاعليه السلام موقفاً واضحاً وصريحاً من تلك السياسة، ميزته عن غيره من العلماء والفقهاء، اذ انه صمدعليه السلام بوجه هذه الأساليب على الرغم من شدة قسوتها واغراءاتها، ومارس مهامه على أتم وجه، مسدداً من الله تعالى والحكمة التي ورثها عن رسول الله وأهل بيته عليهم السلام، حتى استطاع ان يخلق طبقة واعية تمكن من خلالها تصحيح مسار المجتمع، وظل كذلك حتى استشهاده على يد المأمون العباسي بعد أن يئس من كسبه، وخاف من التفاف الناس حوله وتأثرهم بأفكاره النيرة ومعتقده الحق.

الكلمات المفتاحية: جهود، الامام علي بن موسى الرضاعليه السلام، الامامة، المال، الخوف.

Imam Ali bin Mousa Al-Ridha (PUH) Efforts in the Interpretation of the Concept and Philosophy of Imamate and his Attitude towards Money Policy and Fear of the Abbasid State

Prof. Dr. Mohammad Hussein Ali Al-Sowaity
University of Wasit – College of Human Sciences

Adil Khakaf Shahwaz Haider
University of Wasit – College of Human Sciences

Abstract

In order to win public opinion for their favor, the rulers of Banu al-Abbas adopted a policy that relied on money and fear, as they were offering temptations to senior scholars and jurists with the aim of winning them over. Imam Ali Bin Musa Al-Ridha (peace be upon him) had a clear and explicit stance on this policy, which distinguished him from other scholars and jurists as he (peace be upon him) withstood these methods despite their severity and temptations. He exercised his duties to the fullest, guided by Almighty God and by the wisdom that he inherited from the Messenger of God and his family (peace be upon them). He could create a conscious class through which he was able to correct the course of society, and he remained so until he was martyred by Al-Ma'mun al-Abbasid felt afraid that people would follow him and then be affected by his bright ideas and true belief.

Keywords: (efforts) (Imam Ali bin Musa al-Ridha, peace be upon him), (imamate) (money), (fear)).

المقدمة

تبنى حكام بنو العباس من أجل كسب الرأي العام لصالحهم، بهدف تثبيت دولتهم وتمرير نظريتهم السياسية في الحكم (**نظرية الحق الإلهي المقدس**)، أساليب سياسية خبيثة ومتنوعة، كان أبرزها المال والخوف، إذ كانوا يقدمون الإغراءات لكبار العلماء والفقهاء بهدف كسبهم لصالحهم، وان اعترضوا اعتمدوا معهم التخويف والإرهاب، وهو ما جعل الكثير من هؤلاء العلماء والفقهاء يقفون الى جانب دولة بني العباس ويفتون لصالح حكامها. إلا إن للإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام موقفاً واضحاً وصريحاً من تلك السياسة، ميزه من غيره من العلماء والفقهاء، وكيف لا يكون كذلك وهو الإمام المعصوم الذي ورث العلم وكل خصال الخير من آباءه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن جبرائيل عن الخالق الكريم.

وسعياً منا لإظهار هذا الجانب التاريخي ودراسته بموضوعية، على نحو يسهم في إعادة كتابة التاريخ، جاءت محاولتنا هذه تحت عنوان: (**جهود الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في بيان مفهوم الإمامة وفلسفتها وموقفه من سياسة المال والخوف في الدولة العباسية**).

وقد تضمنت هذه المحاولة ثلاث مباحث رئيسة، هي على الترتيب: (**نهج الإمام علي بن موسى الرضا في توضيح مفهوم الامامة وفلسفتها**)، و(**جهود الإمام علي بن موسى الرضا في تصحيح مسارات علماء عصره المنحرفة وموقفه من الثورات العلوية**) و(**الإمام علي بن موسى الرضا في مواجهة المأمون العباسي**).

ختاماً نقول إن هذا الجهد البحثي محاولة جادة للكشف عن **جهود الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في بيان مفهوم الامامة وفلسفتها وموقفه من سياسة المال والخوف العباسية**.

المبحث الأول: نهج الامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) في توضيح مفهوم الامامة وفلسفتها

تعد مسألة ولاية أئمة أهل البيت عليهم السلام ركناً أساسياً وأصلاً من أصول الدين على مذهب أهل البيت المنصوص عليه بأمر الله تعالى؛ ليتبيَّن للناس الطريق الواضح لتحقيق مرضاة الله تعالى؛ لذا أكد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام في مناسبات عديدة على إمامة عليّ بن موسى الرضا عليه السلام؛ ليتخذه الناس طريقاً لهم لمعرفة أحكام الله تعالى وطاعته، على الرغم من التَّقّية التي كان يعيشها عليه السلام لاتقاء شرور حكام بني العباس وجورهم؛ امتثالاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ (سورة النساء، آية: ٥٨). إذ ورد في ذلك روايات عديدة، منها: «**دعانا أبو الحسن موسى عليه السلام وأشهدنا ونحن ثلاثين رجلاً من بني هاشم وغيرهم أنّ علياً ابنه وصيّه وخليفته من بعده**» (المسعودي، ١٩٦٥، ص٢١٦)، (الكليني، ١٩٨٥، ج١، ص٣١٢). وفي رواية ثانية إنّ أحد رجال الإمام قال: «**كنت عند أبي إبراهيم وعلي ابنه صبي يدرج في الدار فقلت: أرى علياً ذاهباً وجائياً دون سائر الناس، فقال: هو أكبر ولدي**

وأحبهم إليّ، وهو ينظر معي في كتاب الجفر، ولا ينظر فيه إلا نبي أو وصيّ نبي» (المسعودي،١٩٦٥، ص٢١٥).

وقال رجل آخر في رواية ثالثة: «**حملت إلى أبي إبراهيم مالاً فأخذ مني بعضه وردَّ عليَّ الباقي، فقلت له: جعلت فداك لم رددت عليّ هذا؟ فقال امسكه حتى يطلبه منك صاحبه بعدي، فلما مضى موسى عليه السلام بعث الي الرضا عليه السلام أن هات المال الذي قبلك فوجهت به إليه**» (المسعودي ١٩٦٥، ص٢١٥)، وفي رواية رابعة قال أحد المقربين منه: «**كنت عند موسى عليه السلام بمكة وبين يديه علي ابنه، فقال لي: هذا علي ابني قوله قولي وكتابه كتابي وخاتمه خاتمي، فما قال لكم من شيء فهو كما قال لكم**» (المسعودي، ١٩٦٥، ص٢١٥) (الكليني، ١٩٨٥، ج١، ص٣١٢).

من مجموع الروايات المتقدمة؛ يظهر تأكيد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام على إمامة ولده الإمام الرضا عليه السلام وهو صغير في السن، وابراز الأدلة الغيبية التي تثبت إمامته ووصايته، لأسباب منها: عظم مقام الإمامة، وإبعاد الشبهات التي ترد على شخص الإمام المعين، وجعله دليلاً قاطعاً على الإمامة لأنها مسؤولية إلهيّة وتعيين خاص من الله تعالى لمن ارتضاه، وقطع الطريق على المدّعين للإمامة.

وقد حرص الإمام الرضا عليه السلام على توضيح مفهوم الإمامة ومسؤوليتها وتأكيد أحقيتها والنّص عليها، إذ ورد في جواب له عن السؤال: «إن الرسول الذي يُنزلُ عليه جبرائيل فيراه ويسمع كلامه ويُنزلُ عليه الوحيُ، وربّما رأى في منامه نحو رؤيا إبراهيم عليه السلام، والنبي ربّما سمِعَ الكلام وربّما رأى الشخص ولم يسمع، والإمام هو الذي يَسمعُ الكلام ولا يرى الشخص» (المسعودي، ١٩٦٥، ص٢١٥) (المجلسي، ١٩٨٣، ج١١، ص ٤١).

اذ كشف النص عن الفرق بين الرسول والنبي والإمام، وان الإمام لا ينطق عن الهوى أو الرأي إنما يوحى اليه وان كان لا يرى الشخص لكنه يسمع الكلام، وأكد ذلك ان الإمامة هي اختيار إلهي بعيد من اختيار الناس، وإن ما يقوله الامام أو يفعله بعيد من الاجتهاد والاستنباط، وأنّ قوله وفعله يتطابق مطابقة تامة مع القرآن الكريم والسنّة الشريفة بوصفه عدل القران الكريم. وأكد ذلك حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**إني تارك فيكم ما انّ تمسكتم به لن تضلّوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله - عزّ وجلّ - حبل ممدود من السماء الى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرّقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما**» (الهيثمي، ١٤٢٩هـ، ص٤٣١).

وفي هذا الحديث الشريف تأكيد ان أئمة أهل البيت عليهم السلام عدل القرآن الكريم، وأعلم الناس بدين الله تعالى، ووجوب إتباعهم والإذعان لهم، وإن التقدم عليهم والتقصير عنهم نتيجته الهلاك، سواء كان ذلك من العلماء أو الحكام أو عامة الناس.

وقال ابن حجر الهيثمي مفسراً هذا الحديث: «**سمى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القرآن وعترته وهي بالمثنّاة الفوقيّة: الأهل والنسل والرهط والأدنون - ثقلين، لأن الثقل كل نفيس خطير مصون، وهذان كذلك، إذ كلٌّ منهما معدن للعلوم اللّدنيَّة والأسرار والحِكم**

العَليّة والأحكام الشرعيّة، ولذا حثّ ﷺ على الإقتداء والتمسّك بهم والتعلّم منهم وقال: الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت... ثم الذين وقع الحث عليهم منهم إنما هم العارفون بكتاب الله وسنّة رسوله، إذ هم الذين لا يفارقون الكتاب الى الحوض... وتميّزوا بذلك عن بقيّة العلماء، لأن الله تعالى أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وشرَّفهم بالكرامات الباهرة والمزايا المتكاثرة» (الهيثمي، ١٤٢٩هـ، ص٤٣٤).

وفي جواب له عليه السلام في احد كتبه: «أما بعد فإن محمداً ﷺ كان أمين الله في خلقه، فلمّا قبض كنّا اهلَ البيت ورثته، فنحن أمناء الله في أرضه، عندنا علم البلايا والمنايا وأنساب العرب ومولد الإسلام، وإنا لنعرف الرّجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وحقيقة النفاق، وإنّ شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم، أخذ الله علينا وعليهم الميثاق، يردون موردنا ويدخلون مدخلنا، ليس على ملة الإسلام غيرنا وغيرهم، نحن النجباء النحّاة، ونحن أفراط الأنبياء ونحن أبناء الاوصياء، ونحن المخصوصون في كتاب الله عزّ وجلّ، ونحن أولى الناس بكتاب الله ونحن أولى الناس برسول الله ﷺ» (الكليني، ١٩٨٥، ج١، ص٢٢٣)، (الصفار،١٤٠٤هـ، ص١١٩).

وفي موضع آخر قال عليه السلام: «إن شيعتنا... ليس على ملّة إبراهيم خليل الرحمن غيرنا وغيرهم... وشيعتنا آخذين بحجزتنا، من فارقنا هلك ومن تبعنا نجا، والجاحد لولايتنا كافر. وشيعتنا وتابع ولايتنا... مؤمن، لا يحبنا كافر ولا يبغضنا مؤمن، من مات وهو محبنا [يحبنا] كان حقاً على الله ان يبعثه معنا، نحن نور لمن تبعنا ونور لمن اقتدى بنا. مَن رغب عنّا ليس منّا، ومن لم يكن منا [معنا] فليس من الإسلام في شيء» (ابن الفرات، ص٢٨٣)، (المجلسي،١٩٨٣،ج٢٣، ص٣١٢).

وفي هذه النصوص أدلة على إمامة وعلوم أئمة أهل البيت عليهم السلام وما خصّهم الله تعالى به، ووجوب محبتهم وإتباعهم، وخلاف ذلك يكون الهلاك والنار.

وأكد ابن حجر الهيثمي هذه المضامين في معرض كلامه على حديث الثقلين الوارد ذكره، بقوله: «الحاصل: أن الحث وقع على التمسّك بالكتاب وبالسنّة، وبالعلماء بها من أهل البيت، ويستفاد من مجموع ذلك بقاء الأمور الثلاثة الى قيام الساعة، ثم أعلمْ أنّ لحديث التمسّك بذلك طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً» (الهيثمي، ١٤٢٩هـ، ص٤٣٢).

وفي رواية للطبراني «آخر ما تكلّم به النبي ﷺ: اخلفوني في أهل بيتي، وفي أخرى... إن لله – عزّ وجلّ- ثلاث حرمات، فمن حفظهُنّ حفظ الله دينه ودنياه، ومن لم يحفظهن لم يحفظ الله دنياه ولا آخرته... حرمة الإسلام، وحرمتي، وحرمةُ رحمي» (الهيثمي، ١٤٢٩هـ، ص٤٣٣).

وبين هذا تطابق المضامين الواردة التي بينها الإمام الرضا عليه السلام مع ما أكده ابن حجر الهيثمي من وجوب صحبة أئمة أهل البيت عليهم السلام وطاعتهم واتباعهم، وأنَّ الإمامة فيهم الى قيام الساعة، ومن أبغضهم وخالفهم فمصيره النار.

وفي المجال نفسه قال ابن حجر الهيثمي: «في

أحاديث الحث على التمسّك بأهل البيت إشارة الى عدم انقطاع متأمل منهم للتمسّك به الى يوم القيامة، كما إنّ الكتاب العزيز كذلك، ولهذا كانوا أماناً لأهل الأرض... ويشهد لذلك الخبر السابق: في كلّ خلفٍ من أمتي عدولٌ من أهل بيتي الى آخره ثم أحقّ من يُتمسكُ به منهم إمامهم وعالمُهم عليّ بن أبي طالب -كرّم الله وجهه- لما قدمناه من مزيد علمهِ ودقائق مستنبطاتهِ، ومن ثمَّ قال أبو بكر: عليٌّ عليه السلام عِترة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [أي الذين] حثّ على التمسُّك بهم فخصهُ، بما قلنا، وكذلك خصَّهُ صلى الله عليه وآله وسلم بما مرَّ يومَ غدير خُمّ» (الهيثمي،١٤٢٩هـ، ص٤٣٤).

بمعنى ان مسألة إمامة أهل البيت عليهم السلام مسألة شرعيّة من صلب الدين الإسلامي ومن زمن الإمام عليّ عليه السلام، مما يعطي تفسيراً واضحاً لأقصاء أئمة أهل البيت عليهم السلام عن الساحة السياسية من بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى الرفيق الأعلى حتى عصر زمان الإمام الرضا عليه السلام، وكشف أيضاً عن سبب محاربة الحكام العباسيين لهم والسعي للخلاص منهم، ومنع انتشار أفكارهم وعقائدهم، واستخدام المال والخوف في نشر المذاهب والفرق الإسلاميّة الأخرى وسيلة لإبعاد المسلمين عن مذهبهم عليهم السلام؛ لأنه يسلب مشروعيّتهم ويؤكد بطلان حكمهم.

ويتبادر الى الذهن هنا سؤال مفاده: إذا كان حكام بنو العباس يرفضون مذهب أئمة أهل البيت عليهم السلام تمسّكاً بالسلطان لأن الملك عقيم، فما بال علماء المسلمين الذين لا يتبعون مذهب أهل البيت عليهم السلام، ومنهم من أوجد لنفسه مذهباً خاصاً؟

والجواب عن ذلك هو أنَّ حُب الشهرة والمقام الدنيوي والتقرّب للسلطان فضلاً عن عدم الجرأة في التضحية بذلك المقام في معارضة قوة السلطان، وما درج عليه عامة المسلمين بمرور الزمن من اعتقادات عقوداً طويلة.

وورد كذلك: «لما وافى أبو الحسن الرضا عليه السلام بنيسابور وأراد أن يخرج منها الى المأمون، اجتمع عليه أصحاب الحديث، فقالوا له يا بن رسول الله، ترحل عنّا ولا تحدّثنا بحديث فنستفيد منك؟... فأطلع رأسه، وقال: سمعت موسى بن جعفر يقول: سمعت أبي جعفر بن محمد يقول: سمعت أبي محمد بن عليّ يقول: سمعت أبي عليّ بن الحسين يقول: سمعت أبي الحسين بن عليّ يقول: سمعت أبي أمير المؤمنين عليَّ بن أبي طالب عليه السلام يقول: سمعتُ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول: سمعت الله عز وجل يقول: لا إله إلا الله حِصني، فمن دخل حِصني أمِنَ من عذابي، قال: فلمّا مرّت الرّاحلة نادانا: بشروطها وانا من شروطها» (الصدوق، ١٣٩٨هـ، ج٢، ص١٣٥)، (الصدوق، ١٣٦١هـ، ص٣٧٠).

وهنا أكد الإمام عليه السلام إمامة أئمة أهل البيت عليهم السلام وحدد شخوصهم المنصوص عليها ومنها شخصه المبارك، وأنّ ولايتهم هي شرط أساس في دخول حصن الله تعالى والأمان من عذابه، وبغير هذا الشرط وهي ولايتهم وطاعتهم لا يمكن أن يكون هناك أمان من عذاب الله تعالى، بعد أن ذكر الحديث القدسي منسوباً لسلسلة الإمامة قبله الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي أكد إمامتهم بشخوصهم، إذ إنه لم يذكر غيرهم في سلسلة رواة الحديث القدسي من أولاد

رسول الله ﷺ، وهو دليل قطعي على إمامتهم بالنص والتعيين الإلهي.

وفي رواية أخرى إنّ الامام عليه السلام ذات يوم «**استوقف البغلة ورفع المظلة وأقرّ عيون المسلمين بطلعته المباركة الميمونة... والناس على طبقاتهم قيام كلّهم، وكانوا بين صارخ وباك... ومتمرّغ في التراب ومقبّل حزام بغلته... إلى أن انتصف النهار وجرت الدموع كالأنهار وسكنت الأصوات وصاحت الأئمة والقضاة: معاشر الناس اسمعوا وعوا، ولا تؤذوا رسول الله في عترته وأنصتوا، فأملى عليه السلام هذا الحديث... فقال عليه السلام: حدثني أبي موسى بن جعفر الكاظم، قال:... صدق الله سبحانه وصدَق جبرائيل وصدق رسولُهُ وصدَقَ الأئمة عليهم السلام**» (الأربلي، ١٩٩٥، ج٣، ص٩٨).

وأظهرت هذه الرواية تركيز الإمام عليه السلام على ولاية أهل البيت عليهم السلام بوصفها الركن الثاني بعد القرآن الكريم الذي لا يمكن دخول الجنة والأمان من العذاب بغيره، بدليل أنه لم يذكر أمام هذا الجمع الكثير من العلماء والقضاة وغيرهم سوى هذا الحديث القدسي والتركيز عليه، وأنَّ كثرة من حظر الواقعة دليل على تعلق الناس به عليه السلام ومنزلته الكبيرة في قلوبهم والقدسية التي كان يحظى بها عندهم.

ومن الطبيعي أن يكون ذلك من تأثير أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين سبقوا الإمام الرضا عليه السلام فضلاً عن تأثيره في الساحة الإسلامية، وهو دليل على نجاح الأئمة عليهم السلام في أساليبهم التي أتبعوها، فضلاً عن عدم استطاعة بنو العباس السيطرة على الثورات العلوَّية وقادتها وعدم استطاعتهم كسبهم الى جانبهم، واتساع رقعة تلك الثورات في البلاد الإسلامية المختلفة وبقاء قادتها متخفين في الأمصار مما جعل النار تحت الرماد تتقد في أي لحظة من اللحظات. وإنّ اختفاء هؤلاء القادة كان من الأسباب المهمة في انتشار الفكر الشيعي واتقاد روح الثورة على العباسيين في المناطق التي يصلون اليها.

المبحث الثاني: جهود الامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) في تصحيح مسارات علماء عصره المنحرفة وموقفه من الثورات العلوية

واجه الامام الرضا عليه السلام علماء عصره بالحجة والدليل لتصحيح مسارات بعضهم التي فسدت طمعاً بمال، كما حصل مع احمد بن ابي بشير السراج، الذي قال فيه الامام عليه السلام: «**أما ابن السراج فإنما دعاه الى مخالفتنا والخروج عن أمرنا، أنّه عدا على مال لأبي الحسين – صلوات الله عليه – عظيم فاقتطعه في حياة أبي الحسن، وكابرني عليه وأبى أن يدفعه، والناس كلهم مسلمون مجتمعون على تسليمهم الأشياء كلّها إلي، فلما حدث ما حدث من هلاك ابي الحسن صلوات الله عليه، اغتنم فراق عليّ بن ابي حمزة(*) وأصحابه إيّاي، وتعلّلَ، ولعمري ما به من علّه إلّا اقتطاعهُ المال وذهابه به**» (الحميري، ١٩٩٣ص٣٤٨)، (المجلسي، ١٩٨٣، ج٤٩، ص٢٦٤). أو لشبهة سيطرة عليه، كما مع ابن أبي حمزة الذي قال فيه الامام عليه السلام: «**أمّا ابن أبي حمزة فإنه رجل تأوّل تأويلاً لم يحسنه، ولم يُؤتَ**

علمَهُ، فألقاه الى الناس، فلجَّ وكره اكذاب الناس في إبطال قوله بأحاديث تأوّلها ولم يحسن تأويلها ولم يؤت علمَها، ورأى أنّه إذا لم يُصدِّق آبائي بذلك، لم يدر لعلَّ ما خيّرَ عنه مثل السفيانيّ وغيرهُ أنهُ كائن لا يكون منه شيءٌ، وقال لهم: ليس يسقط قولُ آبائه بشيءٍ، ولعمري قولَ آبائي شيءُ، لكن قَصَرَ علمهُ عن غايات ذلك وحقائقه، فصار فتنةٌ لهُ وشبّهَ عليه وفرَّ من أمرٍ فوقع فيه» (الحميري،١٩٩٣، ص٣٤٨)، (المجلسي، ١٩٨٣، ج ٤٩، ص٢٦٤).

وفي رواية الصدوق: «اجتمع عند المأمون الفقهاء والمتكلمون، فدس إليهم أن يناظروا الرضا عليه السلام في الامامة، فلما حضروا الرضا وعرضوا عليه ذلك، قال لهم الرضا: اقتصروا على واحد منكم يلزمكم ما يلزمه، وكان فيهم رجل لا يعرف في خراسان مثله في الكلام... فقال له الرضا:... سل عما شئت، فقال: تكلم في الامامة، ثم قال: كيف ادعيت الامامة لمن لم يؤم وتركت من أم؟ فقال الرضا:... أخبرني عن من صدق كاذباً على نفسه أيكون محقاً مصيباً؟ أو مبطلاً مخطئاً... فالتفت المأمون الى الرضا وقال له يا أبا الحسن: عرفنا الغرض في هذه المسألة، فقال عليه السلام لابد... من أن يخبر عن أئمته أنهم كذبوا على أنفسهم أو صدقوا فان زعم أنهم كذبوا فلا أمانة لكذاب، وان زعم أنهم صدقوا فقد قال أولهم (وليتكم ولست بخيركم) وقال صاحبه: كانت بيعته فلتة، فمن عاد لمثلها فاقتلوه، فوالله ما رضي لمن يفعل مثل فعلهم الا القتل أو الخيرية لا تقع الا بنعوت منها العلم، ومنها الجهاد وسائر الفضائل، فمن لم تكن فيه فليس بخير الناس، ومن كانت بيعته فلتة يجب القتل على من فعل مثلها، فكيف يقبل عهده الى غيره وهو يقول على المنبر: ان لي شيطانا يعتريني فاذا مال بي فقوموني، واذا أخطأت فارشدوني، فهؤلاء ليسوا أئمة بقولهم ان صدقوا أو كذبوا... فقال المأمون: يا أبا الحسن ما في الأرض من يحسن هذا سواك» (الصدوق، ١٣٩٨هـ، ج٢، ص٢٣١)، (الغروي، ج٨، ص١٣٩).

وقام عليه السلام بدعم الثورات العلوية المناهضة للحكم العباسي، لكن على نحو غير مباشر اعتماداً لمبدأ التقية، وهو ما نستشفه من مضامين الرواية بهذا الخصوص ومنها: ما أورده الطبري في أحداث سنة تسعة وتسعين ومئة: «فيها خرج بالكوفة محمد بن ابراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب يوم الخميس العشرون من جمادي الآخرة، يدعو إلى الرضى من آل محمد والعمل بالكتاب والسنّة... وكان القيّم بأمره في الحرب وتدبيرها وقيادة جيوشه أبو السرايا» (الطبري، ج٩/ ص٣٦). وابو السرايا هو السري بن منصور الشيباني، لحق بيزيد بن مزيد الشيباني ومعه ثلاثون فارساً، ولما نشبت فتنة الأمين والمأمون انتقل الى عسكر هرثمة بن أعين، وصار معه نحو ألفي مقاتل، وخوطب بالأمير، ذهب الى الرقة معارضاً فلقيه بها ابن طباطبا العلوي وكان قد خرج على بني العباس، فبايعه ابو السرايا وتولى قيادة جنده، واستولى على الكوفة، وامتلك المدائن وواسط، فتوالت عليه الجيوش العباسية، الى ان قتلته. (الزركلي، الاعلام، ج٣/ ص٢٨).

وما أورده كذلك في أحداث سنة مئتين، بقوله: «في هذه السّنة خرج إبراهيم بن موسى بن جعفر

بن محمد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب باليمن» (الطبري، ج٩/ ص٦٩) حتى كادت هذه الثورات أن تحقق مساعيها بالقضاء على الحكم العباسي، وهو ما صرح به الطبري بقوله: «**لما رأى حسين بن حسن ومن معه من أهل بيته... وبلغهم أن أبا السرايا قد قتل، وأنه قد طرد من الكوفة والبصرة وكور العراق من كان بها من الطالبيين... اجتمعوا إلى محمد بن جعفر بن محمد بن عليّ بن حسين بن علي بن أبي طالب، وكان شيخاً ودّاعاً محبباً في الناس... وكان يروي العلم عن أبيه جعفر عن محمد، وكان الناس يكتبون عنه، وكان يظهر سمتاً وزهداً، فقالوا له: قد تعلم حالك في الناس، فأبرز شخصك نبايع لك بالخلافة، فإنك أن فعلت ذلك لم يختلف عليك رجلان، فأبى ذلك عليهم، فلم يزل به إبنه علي بن محمد بن جعفر وحسين بن حسن الافطس حتى غلبا الشيخ على رأيه، فأجابهم، فأقاموه يوم صلاة الجمعة بعد الصلاة لست خلوت من ربيع الآخر، فبايعوه بالخلافة، وحشروا إليه الناس من أهل مكة والمجاورين فبايعوه طوعاً وكرهاً، وسموه بإمرة المؤمنين»** (الطبري، ح٩/ ص٧٠).

يظهر من النص خطورة التحرّك العلوي على الحكم العباسي الذي وصل لمرحلة اختيار خليفة علوي، ووجود التأييد الشعبي للعلويين في أكثر البلدان الإسلامية، وان تحرك العلويين بهذا المستوى أكثر خطراً من تحرّك غيرهم، باعتبار أن المسلمين مسلّمون بأن الخلافة لا يمكن أن تكون في غير قريش ولاسيما بنو هاشم، وهي القاعدة التي أستند إليها العباسيون في حكمهم، وإنّ ثورات غير العلويين كالخوارج وغيرهم هي ثورات محدودة في مناطق محصورة ولا تتعدى الى مستوى تنصيب خليفة للمسلمين عامة تنافس الحكم العباسي وتحاول استبداله بغيره من الأساس، على وفق الأسس التي تستند إليها شرعيّة الحكم على المسلمين عند أكثر العلماء الذين يتبعهم عامة المسلمين.

ومن الشواهد الأخرى على التحرك العلوي الذي نرجح دعم الامام عليه السلام له، اختفاء احمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب في زمن هارون، اذ قال (الاصفهاني): «**ان الرشيد دعا برجل من أصحابه يقال له: ابن الكردية**(**)**... فقال له: قد وليتك الضياع بالكوفة، فامض اليها وتول العمل بها، وأظهر انك تتشيع، وفرّق الأموال في الشيعة حتى تقف على خبر أحمد بن عيسى»** (الاصفهاني، ١٤٢٨هـ، ص٤٩٤). ودل هذا على اهتمام هارون بأمر أحمد بن عيسى وخوفه من وثوبه عليه بثورة، مما جعله يستخدم المال والحيلة في سبيل الوصول لخبره، لأن احمد كان يسعى الى أخذ البيعة من الناس تمهيداً للقيام بثورته.

وهو ما بينه الأصفهاني في قوله: «**جاء ابن الكردية هذا الى البصرة ففعل ما فعله بالكوفة، وجعل يفرّق الأموال في الشيعة، حتى ذكروا له حاضراً**(***) **وأحمد بن عيسى... وأمر من أتاه بحاضر فجيء به، فقال له: اتق الله في دمي، فوالله ما قتلت نفساً ولا أخفت السبيل... فأتي به هارون... فأحضره وأحضر الحازمي رجلاً من ولد عبد الله بن حازم، وكان قد أخذ له بيعة ببغداد فوقعت في يد الرشيد فبدأ به، ثم قال: جئت من خراسان الى دار مملكتي تفسد عليّ**

أمري وتأخذ بيعة؟... ثم أمر به فأعقد في القطع وضرب عنقه، ثم أقبل على حاضر، فقال: ثم صرت تسعى عليَّ مع أحمد بن عيسى تنقله من مصر إلى مصر، من دار إلى دار... والله لتأتيني به أو لأضربن عنقك... قال: والله لو كان تحت قدمي ما رفعتها لك عنه، أنا أجيئك بابن رسول الله ﷺ حتى تقتله؟ افعل ما بدا لك، فأمر هرثمة فضربت عنقه، وصلب مع الحازمي ببغداد» (الاصفهاني، ١٤٢٨هـ، ص٤٩٥).

لقد دلّ هذا النص على عمق الخطر الذي كان يحيط بحكم هارون حتى انه وصل لعاصمته في بغداد، وأظهر التزام أصحاب أحمد بن عيسى بمبادئهم واعتقادهم بأحقيّة أهل البيت عليهم السلام الى درجة التضحية بأنفسهم مقابل نصرتهم على أعدائهم العباسيين. كما أظهر النص استخدام هارون سياسة المال والخوف لإيقاف التحرك العلوي المناهض لدولته، وعجزه عن الوصول إلى أحمد بن عيسى والقبض عليه أو قتله، وهو ما نستشفه مما ورد في الرواية نفسها: «مضى أحمد بن عيسى، وأصحابه فرجعوا إلى البصرة، فلم يزالوا مقيمين حتى مات أحمد بن عيسى، وذلك في سنة سبع وأربعين ومئتين» (الاصفهاني، ١٤٢٨هـ، ص٤٩٨).

المبحث الثالث: الامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) في مواجهة المأمون

أمام تزايد خطر التحرك العلوي ودور الإمام علي الرضا عليه السلام الفاعل، اعتمد المأمون سياسة المال والخوف في سبيل كسب الامام وقادة العلويين الى جانبه، فعرض على الامام عليه السلام منصب الخلافة شكليّاً، واستبدل السواد الذي هو شعار العباسيين بالخضرة، ليبعد الشكوك عن نيته المبيتة لتنفيذ مآربه والانقضاض على الامام والعلويين في الفرصة المناسبة لذلك، وتثبيت حكم الأسرة العباسيّة، والسعي لإزالة قدسيّة أئمة العلويين وقادتهم من النفوس بإشراكهم بالحكم والأمرة.

تشهد على ذلك رسالة المأمون إلى عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام(٦)، بحسب روايات الأصفهاني ونصها: «**كان عبد الله قد توارى في أيام المأمون، فكتب إليه بعد وفاة الرضا يدعوه إلى الظهور... ليجعله مكانه ويبايع له، وأعتلّ عليه بعفوه عمن عفا من أهله، وما أشبه هذا من القول**» (الاصفهاني، ١٤٢٨هـ، ص٤٩٨)، وان المأمون «**كتب إلى عبد الله بن موسى وهو متوار منه يعطيه الأمان، ويضمن له أن يوليه العهد بعده، كما فعل بعلي بن موسى، ويقول: ما ظننت أن أحداً** من آل أبي طالب يخافني بعدما عملته بالرضا» (الاصفهاني، ١٤٢٨هـ، ص٥٠٠).

لقد كشفت هذه النصوص النيّات المبيّتة للمأمون باستخدام أسلوب الترغيب للعلويين وقادتهم مصحوباً بإكراههم على المشاركة في الحكم، ومن ثم التخلّص منهم وقتل قادتهم بصورة سرًّا بأسلوب ماكر ومخادع. وإن قول المأمون: «**ما ظننت أن احداً من آل أبي طالب يخافني بعدما عملته بالرضا**» كشف عن ذلك، وعززه جواب عبد الله بن موسى ونصه: «**وصل كتابك وفهمته، تختلني فيه عن نفسي ختل القانص، وتحتال على حيلة المغتال القاصد لسفك**

دمي، وعجبت من ذلك العهد وولايته لي بعدك، كأنك تظن أنه لم يبلغني ما فعلته بالرضا، ففي أي شيء ظننت أني أرغب من ذلك؟ أفي الملك الذي قد غرتك نظرته وحلاوته؟ فوالله لأن أُقذف وانا حي في نار تتأجج أحب إليّ من أن ألي أمراً بين المسلمين أو اشرب شربة من غير حلها مع عطش شديد قاتل، أم في العنب المسموم الذي قتلت به الرضا» (الاصفهاني، ١٤٢٨هـ، ص٥٠٠). بمعنى أن عمل المأمون هذا حيلة ووسيلة لاغتيال قادة العلويين باستخدام الحيلة والغدر، وإن التظاهر بتحويل الحكم للعلويين ما هو إلا وسيلة لذلك، لتمكينه من جعلهم تحت سلطته ومن ثم التمكن من قتلهم على نحو لا يثير الشك والريبة، ولا يؤدي إلى ردود فعل من أنصار العلويين.

وفي رواية أخرى أكدت هذا المعنى ان عبد الله بن موسى قال: «**هبني لا ثأر لي عندك وعند آبائك المستحلين لدمائنا، الآخذين حقنا، الذين جاهروا في أمرنا فحذرناهم، وكنت الطف حيلة منهم بما استعملته من الرضا بنا والتستر لمحننا، تختل واحداً فواحداً منا، ولكني كنت إمرأ حبب اليّ الجهاد، كما حبب إلى كل امرئ بغيته، فشحذت سيفي... ولم أدر أيّ العدو أشد ضرراً على الإسلام، فعلمتُ أن كتاب الله يجمع كل شيء، فقرأته فإذا فيه:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ (التوبة، آية ١٢٣)، **فما أدري من يلينا منهم، فأعدت النظر، فوجدته يقول:** ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ (المجادلة، آية ٢٢)، **فعلمت أنّ عليّ ان أبدأ بما قرب مني وتدبرت فإذا أنت أضرّ على الإسلام والمسلمَين من كل عدو لهم لأن الكفار خرجوا منه وخالفوه فحذرهم الناس وقاتلوهم، وانت دخلت فيه ظاهراً فأمسك الناس وطفقت تنقض عراه عروة عروة، فأنت أشد أعداء الإسلام ضرراً عليه**»(الاصفهاني، ١٤٢٨هـ، ص٤٩٩).

أفصح هذا القول عن حيلة المأمون وأسلوبه المخادع في استدراج قادة العلويين وقتلهم، وامتصاص نقمة أتباعهم، وأكد أن عقيدة عبد الله بن موسى بوجوب قتالهم ومحاربتهم أساسها القرآن الكريم، بوصفهم يكيدون الإسلام وأهله حبّاً بالسلطة والرئاسة، وأظهر مبدأية عبد الله في تحركه، وأنه لم يكن طالباً للسلطة بقدر ما كان يريد إداء تكليفه الشرعي في محاربة العباسيين بوصفهم منافقين يعملون بخلاف القرآن والسنّة الشريفة.

وفي رواية أخرى؛ أكد المعنى نفسه اذ ان عبد الله قال للمأمون: «**أنت ختلت المسلمين بالإسلام وأسررت الكفر فقتلت بالظنّة، وعاقبتَ بالتهمة، وأخذت المال من غير حلّه فأنفقته في غير حلّه، وشربتَ الخمر المحرمة صراحاً، وانفقت مال الله على المتلهيّن وأعطيته المغنين ومنعته من حقوق المسلمين، فغششت بالإسلام... وخالفت الله ورسوله في ذلك خلافة المضاد المعاند**» (الاصفهاني، ١٤٢٨هـ، ص٥٠١).

فاذا كان هذا حال عبد الله بن موسى في تعامله مع حكم العباسيين ومنهم المأمون، فمن باب أولى أن يكون هذا حال تعامل الإمام الرضا عليه السلام مع المأمون

وأركان حكمه، بوصفه الإمام المفترض الطاعة العامل بالكتاب والسنّة، وهو من أهل البيت عليهم السلام الذين هم عدل القرآن، ولا يوجد أعلم منهم بالكتاب والسنّة.

لقد استخدم المأمون سياسة المال والخوف مع الإمام عليه السلام، اذ أكرهه على قبول ولاية العهد بعد رفضه عليه السلام لمنصب الخلافة، تمهيداً لاحتواء الثورات العلوية ورجالاتها وأتباعها، ومن ثم قتل الإمام عليه السلام الذي كان وجوده خطراً كبيراً على الحكم العباسي وشرعيّة وجوده.

وأورد الأصفهاني في هذا المجال: «**أن المأمون وجه إلى جماعة من آل أبي طالب فحملهم إليه من المدينة، وفيهم علي بن موسى الرضا عليه السلام فأخذ بهم على طريق البصرة حتى جاءوه بهم... ووجه إلى الفضل بن سهل فأعلمه أنه يريد العقد له، وأمره بالاجتماع مع أخيه الحسن بن سهل على ذلك، ففعل واجتمعا بحضرته، فجعل الحسن يعظم ذلك عليه، ويعرفه ما في إخراج الأمر من أهله عليه، فقال له: إني عاهدت الله أن أخرجها إلى أفضل آل أبي طالب إن ظفرت بالمخلوع، وما أعلم أحداً افضل من هذا الرجل. فاجتمعا معه على ما أراد، فأرسلها إلى علي بن موسى فعرضا ذلك عليه فأبى، فلم يزالا به وهو يأبى ذلك ويمتنع منه، إلى أن قال له أحدهما: إن فعلت وإلّا فعلنا بك وصنعنا، وتهدده، ثم قال له أحدهما: والله أمرني بضرب عنقك إذا خالفت ما يريد**» (الاصفهاني، ١٤٢٨هـ، ص٤٥٤)، (الصدوق، ١٣٩٨، ج٢، ص٢١٧)، (الاربلي،ج٣، ص٥١٤).

يتبين من النّص؛ أن الأمر والتخطيط كان من المأمون في تولية الإمام عليه السلام وليس من الفضل وأخيه الحسن، وأنهما قد أجاباه إلى ما أمر به، وهذا يتناقض مع ما أورده بعض بأن الأمر كان محاولة من الفضل والحسن لتحويل الخلافة إلى العلويين.

وهو أمر أيده الاصفهاني بقوله: «**اعتل الرضا علته التي مات فيها، وكان قبل ذلك يذكر ابني سهل عند المأمون فيزري عليهما، وينهى المأمون عنهما ويذكر له مساوئهما**» (الاصفهاني، ١٤٢٨هـ، ص٤٥٤).

وعزه المفيد بروايته: «**فعرفا ذلك منه، فجعلا يحطان عليه عند المأمون ويذكران له عنه ما يبعده منه ويخوفانه من حمل الناس عليه، فلم يزالا كذلك حتى قلبا رأيه فيه، وعمل على قتله**» (المفيد،١٩٩٣، ص٢٨٨)، والاصفهاني بقوله: «**ثم دعا به المأمون فخاطبه في ذلك فامتنع، فقال له قولاً شبيهاً بالتهديد، ثم قال له: إن عمر جعل الشورى في ستة أحدهم جدك، وقال: من خالف فاضربوا عنقه، ولا بد من قبول ذلك، فأجابه علي بن موسى إلى ما التمس، ثم جلس المأمون في يوم الخميس، وخرج الفضل بن سهل فأعلم الناس برأي المأمون في علي بن موسى، وأنه ولاه عهده، وسماه الرضا. وأمرهم بلبس الخضرة، والعود لبيعته في الخميس الآخر على أن يأخذوا رزق سنة**» (الاصفهاني، ١٤٢٨هـ، ص٤٥٥) (الصدوق، ١٣٩٨، ج٢، ص١٣٩).

ودل ما تقدم على أنّ المأمون هو المخطط لموضوع ولاية العهد، وان الأخوين الفضل والحسن كانا مجرد منفذين، وأظهر بالوقت نفسه بصورة واضحة

استخدام المأمون سياسة المال والخوف من أجل قبول الإمامعليه السلام بولاية العهد، وإغراء الناس بالأموال لقبول أمر المأمون وطاعته فيه حتى من قبل الموالين للعباسيين.

وأظهر تناقضاً عجيباً فضح المأمون وكشف عن نيته العدوانية بحق الامام والعلويين، اذ أنه هدد بقتل الإمامعليه السلام إن خالف أمره ولم يقبل بولاية العهد إقتداءً بسيرة عمر بن الخطاب بالشورى، في وقت زعم فيه أنه يعمل على وفق الكتاب والسنّة الشريفة، وأنه يعتقد بأحقية الإمامعليه السلام بالخلافة.

وكشف الإمامعليه السلام عن نيّة المأمون السيئة والمكر المبيت في قلبه، بقوله: «**عظم الله تعالى البركة في البلاد بدعاء الرضا، وقد كان للمأمون من يريد أن يكون هو ولي العهد دون الرضا، وحساد كانوا بحضرة المأمون للرضا، فقال للمأمون بعض أولئك: يا أمير المؤمنين اعيذك بالله أن تكون تاريخ الخلفاء في إخراجك هذا الأمر... من بيت ولد العباس إلى بيت ولد علي لقد أعنت على نفسك وأهلك جئت بهذا الساحر ولد السحرة وكان خاملاً فأظهرته... ومنسيّاً فذكرت به ومستخفياً فندهت به قد ملأ الدنيا مخرفة... ما أخوفني أن يخرج هذا الأمر من ولد العباس إلى ولد علي بل ما أخوفني أن يتوصل بسحره إلى إزالة نعمتك والتوثب على مملكتك هل جنى أحد على نفسه ومملكته مثل جناياتك؟ فقال المأمون: قد كان هذا الرجل مستتراً عنا يدعو الناس إلى نفسه فأردنا أن نجعله ولي عهدنا ليكون دعائه إلينا وليعرف أن الملك والخلافة لنا وليعتقد المعتقدون أنه ليس مما ادعى لنفسه في قليل ولا كثير وان هذا الأمر لنا دونه وقد خشينا إن تركناه على تلك الحالة أن ينشق علينا منه ما لا نقدر على سدّه وأن يأتي علينا ما لا طاقة لنا به والآن فإذا قد فعلنا وأخطأنا من أمره بما قد أخطأنا وأشرفنا على الهلاك بالتنويه على ما اشرفنا فليس يجوز التهاون في أمره ولكنا نحتاج إلى أن نضع منه قليلاً قليلاً حتى نصوره عند الرعايا بصورة من لا يستحق هذا الأمر ثم ندير فيه بما يحسم عنا مواد بلائه**» (ابن رستم الطبري، ص١٩٤).

يتبين من قول الامامعليه السلام حقيقة المأمون في تخطيطه واعطائه ولاية العهد للإمامعليه السلام، وكشف بالوقت نفسه عن خوفه من نشاط الإمامعليه السلام في نشر فكر أهل البيتعليهم السلام وأحقية أئمتهم بالخلافة واتساع التأييد لهم في الأقطار الإسلاميّة والاعتقاد بإمامة الإمامعليه السلام وشيوعها بين المسلمين. ومن أجل أن يسيطر المأمون على تحرك الإمامعليه السلام ويحيط بأخباره ويخفي نيته العدوانية قام بتزويجهعليه السلام من بنته، وكان ذلك في سنة (٢٠٢هـ) (الطبري، ج٩، ص٩١).

لكن بعد شيوع تأثير الإمامعليه السلام في الساحة الاسلاميّة، حاول المأمون تقليل شأن الإمامعليه السلام لإزالة الاعتقاد بإمامته من عقول الناس وقلوبهم من خلال أساليب كثيرة، منها ما أورده الطبري بروايته: «**قال الرجل: يا أمير المؤمنين فولّني بمجادلته فأني أفحمه وأضع من قدره فلولا هيبتك في صدري لأنزلته منزلته وبينت للناس قصوره عما رسخ له في قلوبهم، قال المأمون: ما من شيء أحب إليّ من ذلك قال: فاجمع وجوه أهل مملكتك من القواد والخاصة والقضاة والفقهاء لأبين نقصه بحضرتهم فيكون تأخيره عن محلّه الذي احللته فيه على علم منهم**

بصواب عقلك، قال: فجمع الخلق الفاضلين.... فابتدأ هذا الحاجب المتضمن للوضع، من الرضا، وقال له: إن الناس قد أكثروا وأسرفوا في وصفك فما أرى إنك أن وقفت عليه إلا وبرئت منه إليهم وأول ذلك أنك قد دعوت الله في المطر المعتاد مجيئه فجاء فجعلوه آية معجزة لك أوجبوا لك بها أن لا نظير لك في الدنيا وهذا أمير المؤمنين.... لا يوازن بأحد إلا رجح وقد أحلّك المحل الذي قد عرفت فليس من حقه عليك أن تسوّغ الكاذبين لك فيما يدعونه قال الرضا: ما أدفع عباد الله أن يتحدثوا بنعم الله عزّ وجلّ وإن كنت لا أبغي بذلك بطراً ولا أشراً وما أذكرك أن صاحبك أحلّني هذا المحل فما احلّني إلا اعمل الذي أحله ملك مصر يوسف الصديق وكانت حالهما ما قد عرفت» (ابن رستم الطبري، ص١٩٤)، (الصدوق، ج٢، ص١٣٩).

كشفت هذه الرواية عن مستوى تأثير الإمام عليه السلام في الساحة الإسلامية وانتشار الاعتقاد بإمامته، وكان رده عليه السلام حازماً بتصديق ما يقوله الناس في إمامته، بل زاد عليه بعدم ذكر المأمون بما يذكره الناس، إذ وصفه بـ«**أن صاحبك**»، وهو وصف أزال به عليه السلام صفة الخلافة عن المأمون وعدم شرعية حكمه بهذا العنوان، فضلاً عن أنه قارن بينه وبين حاكم مصر، وبين نفسه وبين يوسف الصديق عليه السلام، وهي مقارنة واضحة وصريحة بأن جعل نفسه صاحب الحق الإلهي بالخلافة كما كانت ليوسف عليه السلام، وأن المأمون هو حاكم دنيوي لا يمت للخلافة الإلهية بصلة.

ودل قوله هذا بحضور المأمون وحاشيته على الصرامة والتحدّي، على الرغم من علمه عليه السلام بطغيان المأمون وجبروته، مما جعل الحاجب يستشيط غضباً فكيف بالمأمون نفسه؟ وهو ما بينه الطبري بتكملة روايته: «**فغضب الحاجب عند ذلك، فقال: يابن موسى لقد عدوت طورك وتجاوزت قدرك أن بعث الله مطراً مقدراً وقته لا يتقدم ولا يتأخر ساعة جعلته آية تستطيل بها وصولة تصول بها كأنك جئت بمثل آية الخليل إبراهيم... فإن كنت صادقاً فيما توهم فأحيي هاتين الصورتين وسلطهما عليّ فإن ذلك حينئذ تكون آية ومعجزة... وكان الحاجب أشار إليه إلى أسدين مصورين على مسند المأمون... فغضب علي بن موسى الرضا عليه السلام وصاح بالصورتين دونكما الفاجر فافترساه ولا تبقيا له عيناً ولا أثراً، فوثبت الصورتان وقد عادتا أسدين فتناولا الحاجب ورضاضاه وهشماه وأكلاه ولحسا دمه والقوم متحيرين ينظرون فلما فرغا منه أقبلا على الرضا عليه السلام وقالا: يا وليّ الله في أرضه ماذا تأمرنا أن نفعل بهذا انفعل ما فعلناه بصاحبه وأشار بالقول إلى المأمون فغشي عليه مما سمع منهما فقال الرضا عليه السلام لأصحاب المأمون وحاشيته: أفيضوا عليه الماء... فأفاق من غشيته... وعاد الاسدان يقولان: إذن لنا... قال لا، فأن لله عزّ وجلّ فيه تدبيراً هو ممضية... قال: عودا.. فعادا إلى المسند وصارا الصورتين كما كانا. فقال المأمون: الحمد لله الذي كفاني شر حميد بن مهران يعني بذلك الرجل المفترس»** (ابن رستم الطبري، ص١٩٥-١٩٦)، (الصدوق،ج٢، ص١٣٩).

ان هذه الكرامة الباهرة دلّت بصورة قاطعة على الإمامة الإلهيّة الحقّة للإمام الرضا عليه السلام، ولعلّ ذلك كان بسبب تحدي الحاجب الذي جعل الإمام عليه السلام

على المحك، وما تمثله الإمامة بوصفها ركناً من أركان الإسلام الحنيف، فاستوجب الموقف إظهار هذه الكرامة لدحض الباطل وإحقاق الحقّ، ظهر ذلك في ما جاء بتتمة الرواية: «ثم قال للرضا: يا ابن رسول الله هذا الأمر لجدكم رسول الله ﷺ ثم لكم، ولو شئت انزلت لك عنه، فقال الرضاعليه السلام: لو شئت لما ناظرتك فإن الله عزّ وجلّ أعطاني من طاعة سائر خلقه مثل ما رأيت من طاعة هاتين الصورتين إلا جّهال بني آدم فإنهم خسروا حظوظهم ولله عزّ وجلّ فيهم تدبير، وقد أمرني ربي بترك الاعتراض عليك وإظهار ما أظهرته من العمل تحت يدك، كما أمر يوسف الصديقعليه السلام بالعمل من تحت يد فرعون مصر، وأدبر المأمون ضئيلاً في نفسه إلى أن قضى في عليّ بن موسى الرضاعليه السلام ما قضى» (ابن رستم الطبري، ص١٩٦)، (الصدوق،ج٢، ص١٥١).

ودلّ هذا على أن تحرك الإمامعليه السلام ونشاطه لم يكن بمعزل عن الأوامر والتدبير الإلهي، وأنهعليه السلام يعمل على وفق الأوامر الإلهية، وهو يعلم من أمور الغيب ما علّمه الله تعالى، ويمتلك من القدرة التكوينية المؤثرة في الأشياء بقدر ما أعطاه الله تعالى منها، وبإمكانه جعل الأسدين يأتيان على المأمون نفسه ويهلكانه، لكن مقتضى التدبير الإلهي استوجب أن لا يفعل ذلك لحكمة أرادها الله تعالى.

ويستشف من تتمة الرواية ان سبب رفض قبول الامامعليه السلام منصب الخلافة تحت تهديد المأمون وقبول ولاية العهد تحت التهديد نفسه، هو لحكمة الهية، لكونه لا يتصرّف بالأمور من تلقاء نفسه، بل تبعاً للأوامر الإلهية، ولله في خلقه شؤون.

وهو ما وضحه الامامعليه السلام بحوار مع المأمون، جاء فيه: ان المأمون قال: «**رأيت أن أعزل نفسي عن الخلافة، واجعلها لك، قال الرضا: إن كانت الخلافة حقاً لك، وانت أهل لها فلا يجوز أن تخلع نفسك منها، وإن لم يكن لك حقّ بها فلا يجوز أن تعطيها لغيرك، قال المأمون: لا بد لك من قبول هذا الأمر... إن لم تقبل الخلافة فكن ولي عهدي. قال الرضا: لست أفعل ذلك مختاراً أبداً... تريد أن يقول الناس: إن علي بن موسى الرضا، لم يزهد في الدنيا، بل زهدت الدنيا فيه، ألا ترون كيف قبِل ولاية العهد حين أتيحت له الفرصة؟!... فغضب المأمون، وقال: والله إن لم تقبل ضربت عنقك، قال الرضا: إن الله سبحانه قد نهاني أن أُلقي بيدي إلى التهلكة، فإن كان الأمر كذلك، فافعل ما بدا لك، وأنا أقبل على أن لا آمر، ولا أنهى ولا أقصي، ولا أُغير شيئاً فأجابه المأمون إلى ذلك**» (الصدوق، ج١، ص١٥١)، (ابن شهر اشوب، ج٣، ص٤٧٣).

يظهر من مضمون الحوار انّ الإمامعليه السلام أبطل مشروعّية حكم المأمون بقبوله بولاية العهد المشروطة، إذ أنّهعليه السلام من خلال رفضه للخلافة وشروطه التي اشترطها لقبوله بولاية العهد.

الخاتمة

أكد الإمام موسى بن جعفرعليه السلام إمامة الإمام الرضاعليه السلام وهو صغير في السن، وأبرز الأدلة الغيبية التي تثبت ذلك، لإبعاد الشبهات التي ترد على شخص الإمام المعين، وقطع الطريق على المدّعين

للإمامة، وأكد الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام إمامة أئمة أهل البيت عليهم السلام ووجوب محبتهم وإتباعهم، وحدد شخوصهم المنصوص عليها في القران الكريم والحديث النبوي الشريف ومنها شخصه المبارك.

وأمام التحرك الفاعل للإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام على صعد الحياة المختلفة العلمية منها والسياسية وغيرها والتفاف المؤمنين حوله واتساع رقعة المؤيدين له، استخدم المأمون سياسة أسلافه حكام بني العباس المال والخوف مع الامام عليه السلام، بهدف كسب مودته أو اجباره على تغيير خطابه، فأكرهه على القبول بولاية العهد بعد أن رفض عليه السلام منصب الخلافة، تمهيداً لاحتواء ثورات العلويين ورجالاتهم، ومن ثم قتل الإمام عليه السلام، بهدف الخلاص من معارضته وكلمة الحق التي كان يدعو اليها، لكن الإمام عليه السلام برعاية الباري عز وجل والعلم الذي ورثه أبطل مشروعّية حكم المأمون بقبوله بولاية العهد بحسب شروط معينة وواضحة، ورفضه للخلافة، مفوتاً بذلك على المأمون تحقيق أهدافه الخبيثة، ومحققاً بالوقت نفسه اتساع رسوخ رسالته وامامته عليه السلام في قلوب الناس.

الهوامش

(*) كنيته (ابو الحسن)، وهو مولى الأنصار، كوفي، وله أخ يسمى جعفر بن أبي حمزة، روى عن أبي الحسن موسى وأبي عبد الله عليهما السلام، ثم وقف، وهو أحد عمد الواقفة، وله كتب عدة، منها: (كتاب الصلاة)، و(كتاب الزكاة)، و(كتاب التفسير). ينظر: الخوئي، معجم رجال الحديث، ج١٢/ ص٢٣٤- ٢٥٣.

(**)اسمه يحيى بن خالد، وكان من رجال المنصور الدوانيقي، متزلفاً له ومحط ثقته. الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٩٤.

(***) حاضر هو أحد أصحاب الامام عيسى بن زيد ومولاه، قتله المهدي العباسي. الأمين، أعيان الشيعة، ج٣/ ص٧٥.

المصادر والمراجع

القران الكريم.

*** الأربلي، علي بن عيسى (ت٦٩٢هـ):**

١- كشف الغمة في معرفة الأئمة، تقديم أحمد الحسيني، (قم- ١٩٩٥م).

*** الاصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد (ت٣٥٦هـ):**

٢- مقاتل الطالبيين، شرح وتحقيق السيد أحمد الصقر، منشورات دار الزهراء، (قم-١٤٢٨هـ).

*** ابن حجر الهيثمي، شهاب الدين أحمد ابن حجر المكي (ت٩٧٤هـ):**

٣- الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، تحقيق مصطفى العدوي، (المنصورة-١٤٢٩م).

*** الحميري، عبد الله بن جعفر (ت٣٠٤هـ/ ٩١٦م):**

٤- قرب الاسناد، تحقيق مؤسسة ال البيت لإحياء التراث (قم- ١٩٩٣م)

*** ابن رستم الطبري، محمد بن جرير بن رستم (ت٤١١هـ):**

٥- دلائل الامامة، مؤسسة البعثة، (قم- ١٩٩٢).

* **الزركلي، خير الدين:**

٦- الاعلام، ط٥، دار العلم للملايين، (بيروت- ١٩٩٠م).

* **ابن شهر أشوب، محمد بن علي (ت٥٨٨هـ):**

٧- مناقب آل أبي طالب، تحقيق يوسف البقاعي، (قم- ١٤٢١هـ).

* **الصدوق، محمد بن علي القمي (ت٣٨١هـ):**

٨- عيون أخبار الرضا. كمال الدين واتمام النعمة، تحقيق هاشم الحسيني، (قم- ١٣٩٨هـ).

٩- معاني الأخبار، تحقيق علي أكبر الغفاري، (قم- ١٣٦١هـ).

* **الصفار، محمد بن الحسن (ت٢٩٠هـ):**

١٠- بصائر الدرجات الكبرى، منشورات الاعلمي، (طهران- ١٤٠٤هـ)

* **الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ):**

١١- تاريخ الرسل والملوك المعروف بـ(تاريخ الطبري)، تحقيق لجنة من العلماء، مؤسسة الأعلمي، (بيروت- د.ت).

* **الطوسي، أبو جعفر بن الحسن (ت٤٦٠هـ):**

١٢- الفهرست، تحقيق جواد القيومي، مؤسسة الفقاهة، (د.م- ١٤١٧هـ).

* **الكليني، محمد بن يعقوب بن اسحاق الرازي (ت٣٢٩هـ):**

١٣- الأصول من الكافي، دار الاضواء، (بيروت- ١٩٨٥).

* **المجلسي، محمد باقر (ت١١١هـ):**

١٤- بحار الأنوار الجامع لدرر أخبار الائمة الاطهار، ط٣، دار احياء التراث العربي، (بيروت- ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

* **المسعودي، علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ):**

١٥- اثبات الوصية، ناشر انصاريان، (قم- ١٩٦٥).

* **المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري (ت٤١٣هـ):**

١٦- الارشاد، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، ط٢، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، (د. م- ١٩٩٣).